وكسر القاف عن هذه الاوصاف واستدل بها على صدقه فيما ادعاه
من النبوة والرسالة فقال سالتك عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو
نسب وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها وسالتك هل كنتم
تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال فذكرت ان لا فقد اعرف انه
لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله الى ان قال
وسالتك بما يامركم فذكرت انه يامركم ان تعبدوا الله ولا تشركوا
به شيا وينهاكم عن عبادة الاوثان ويامركم بالصلاة والصدق
والعفاف فان كان ما يقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين
وقد قال المصطفى بالله خطاب شفقة وتسلية قد نعلم انه ليحزنك
الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بايات الله
يجحدون واستشكل ظاهره لان كذب القول يستلزم كذب
قايله الا ان يكون ناقلا غير ملتزم للصحة والنبي صلى الله
عليه وسلم انما ذكره على انه حق من عند الله واجيب
بان المراد ليس قصدهم تكذيبك لانك عندهم موسوم
بالصدق وانما يقصدون تكذيبي والجحود باياتي او لا يعتقدونك
كاذبا وانما ينسبون الكذب لما جيت به عنادا او لا يقولون
عادتك الكذب لكنا منكر النبوة فلا يلزم ان تكون كذابا وانك
غير متعمد للكذب بل تخيلت امرا باطلا لتكذيب المنفي بالنسبة
لافعاله وتعمده فلا يكون عيبا فيه وهذا احسن التاويلات
وقيل لا يخصونك بالتكذيب وقيل لا يكذبونك في السر ونقل ابن
الجوزي عن قتادة لا يكذبونك بحجة بل بهتانا وعنادا وقال
عياض ففي هذه الاية منزع لطيف المأخذ من تسليته تعالى له
صلى الله عليه وسلم والطافه في القول بان قرر عنده انه
صادق عندهم وانهم غير مكذبين له معترفون بصدقه قولا
واعتقادا وكانوا يسمونه قبل النبوة الامين فدفع عنه بهذا
التقرير ارتماض نفسه بسمة الكذب ثم جعل الذم لهم بتسميتهم
جاحدين ظالمين حاشاه من الوصم وطوقهم بالمعاندة بتكذيب
الايات حقيقة الظلم اذ الجحد انما يكون ممن علم الشي ثم انكره كقوله
تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا انتهى
وروي ان رجلا هو الحارث بن عامر بن نوفل كما عند النساي
عن ابن عباس رضي الله عنهما وروى ابن جرير من طريق
العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان اناسا من قريش
قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان نتبعك نتخطفنا ال
ناس فنزلت وقالوا ان نتبع الهدى الاية فلعل الحارث
هو المبتدي قال والله يا محمد ما كذبتنا قط فنتهمك ولكنا

ان

ان نتبعك نتخطف من ارضنا فنزلت هذه الاية ظاهره ان
المراد فانهم لا يكذبونك وقد علم من رواية النساي وابن جرير
انها وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا رواه ابو
صالح مشهور بكنيته واسمه ميزان البصري مقبول من
اواسط التابعين خرج له الترمذي عن ابن عباس رضي
الله عنهما. وعن مقاتل نزلت في الحارث بن عامر بن نوفل بن
عبد مناف ووقع في الانوار تسمية ابيه عثمان وهو خلاف
الروايات انه عامر يكذب النبي صلى الله عليه وسلم في العلانية
فاذا خلا مع اهل بيته قال ما محمد من اهل الكذب
انه اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال نحن نعلم انك على الحق ووقع في الانوار
ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب وانما نحن اكلة راس ان
يتخطفونا من ارضنا فرد الله عليهم بقوله اولم نمكن لهم حرما امنا
وروي ان المشركين كانوا اذا راوه عليه الصلاة والسلام
قالوا انه لنبي ويتعللون بالانفة عن اتباعه حتى لا يكونوا تابعين
ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون وروى الترمذي
والحاكم عن علي قال ابو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم
انا لا نكذبك ولكن نكذب ما جيت به وفي نسخة مصححة
من الشفا ما جيت به يرون ابا فانزل الله تعالى الاية لفظ
روايتهما فانزل الله تعالى فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين
بايات الله يجحدون والمعنى انهم ... ان
الجحد لغة كما صرح به الجوهري والمجد وغيرهما هو الانكار مع العلم بصحته
فهو محض عناد وبغي فان قلت ما الجمع بين هذا
فانهم لا يكذبونك وبين قوله تعالى تلو هذه الاية ولقد
كذبت رسل من قبلك الاية فان مفادها انهم كذبوا كما هو التسلية
له اذ قوله فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا
معناه فاصبر كما صبروا حتى ياتيك نصرنا باهلاك من كذبك كما
اهلكنا من كذب الرسل من قبلك ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك
من نبا المرسلين اي ما فيه تسلية لك قيل كان الاولى المعارضة
بقوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك لصراحتها
في التكذيب دون هذه الاية ورده شيخنا تقريرا بان ما سلكه
المصنف اولى لان هذه الاية صرح فيها بالقضية الشرطية
فلا تستلزم التكذيب بالفعل بخلاف ولقد كذبت تستلزمه
اجيب بانه اي التكذيب الصادر منهم على طريق
... لعلمهم بصدقه وكذبوه عنادا واستكبارا عن الاتباع
فهم مصدقون في نفس الامر وان كذبوا ظاهرا وهو مختلف

Copyright © King Saud University